مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السادس
1989م.

إخلاص

الأستاذ: الصديق يعقوب

في تعريفات الجرجاني يحدد الإخلاص على هذا النحو: الإخلاص في اللغة: ترك الرياء في الطاعات. وفي الإصطلاح: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه[1]. ويحلل الجرجاني هذا التعريف للإخلاص: «وتحقيقه أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى خالصاً. ويسمى الفعل المخلص إخلاصاً. قال الله تعالى: ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾[2] فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدم. وقال الفضل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجلهم شرك. والإخلاص الخلاص من هذين»[3].

ومن معاني الإخلاص «أن لا تطلب لعملك شاهداً غير الله. وقيل: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات. وقيل: الإخلاص ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله»[4].

والإخلاص ذو علاقة ثابتة بالصدق وإن تفاوتا لكن العلاقة بينهما لا تمنع من وجود فرق والفرق بين الإخلاص والصدق آت من أن «الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع»[5].

وربما يوضح هذه العلاقة الدقيقة بين الإخلاص والصدق القول بأن الإخلاص

---

(1) الشريف الجرجاني، التعريفات: طبعة الحلبي ـ القاهرة 1357 هـ.

(2) سورة النحل: الآية 66.

(3) الجرجاني: التعريفات.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

يمثل مرحلة التجربة والاختبار وهي مرحلة تتفاوت فيها درجات الصادقين والصديقين.

ومما يتصل بفهم الإخلاص وإدراك سمو درجته هذه العلاقة بين الإخلاص وبين الدين التي أحكم ربطها في الآيات القرآنية التي وردت فيها مشتقات مادة الإخلاص» فلا يرد ذكر الإخلاص إلا متصلاً بالدين. إنها علاقة جديرة بالنظر والتأمل. ومن موارد ذلك في القرآن الكريم: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾[6] ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين﴾[7] ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾[8] ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾[9] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾[10] ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾[11] ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾[12] ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾[13] ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾[14] ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[15].

وهكذا تترادف الآيات القرآنية وترسم صورة للإخلاص في ظلال الدين المتجاوب مع الفطرة التي تنضر حين صفائها لصفائها من كل صور الشرك ومظاهره كما الدين. وفي هذا الإطار جاءت «سورة الإخلاص» بهذا الاسم «لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة؛ لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية»[16].

---

(6) سورة النساء: الآية 146.

(7) سورة يونس: الآية 22.

(8) سورة العنكبوت: الآية 65.

(9) سورة لقمان: الآية 31.

(10) سورة الزمر: الآية 2، 3.

(11) سورة الزمر: الآية 11.

(12) سورة الزمر: الآية 14.

(13) سورة غافر: الآية 14.

(14) سورة غافر: الآية 65.

(15) سورة البينة: الآية 5.

(16) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 609/30. الدار التونسية للنشر 1984.

الإخلاص ذو علاقة بالعزم وبالفعل الإرادي ومن ثم فهو يمثل بعداً نفسياً إنه «النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء... من ابتداء الفعل إلى انتهائه. والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه وبالواجب لوجوبه»[17]. وفي الجامع لأحكام القرآن: «الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره»[18].

وفي كتاب: التسهيل لعلوم التنزيل: «الإخلاص يراد به التوحيد وترك الشرك: وترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال. وهذا الإخلاص في التوحيد هو ترك الشرك الجلي وهذا الإخلاص في الأعمال هو ترك الشرك الخفي وهو الرياء»[19].

وضمن مصادر التراث الإسلامي وردت رسالة في «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» ألفها الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى عام 795 هـ[20].

ولأبي القاسم الجنيد الصوفي المشهور المتوفى سنة 298 هـ كتاب خصصه لبيان الفرق بين الإخلاص والصدق[21].

(17) علاء الدين البغدادي الشهير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 399/4 طبعة دار المعرفة ـ بيروت.
(18) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 144/20 طبعة دار الشآم للتراث ـ بيروت.
(19) أبو القاسم، ابن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل: ص 805 طبعة الدار العربية للكتاب.
(20) نشرت هذه الرسالة في طبعة ثالثة بعناية المكتب الإسلامي، بيروت 1391 هـ.
(21) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: 454/2 طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.